عن عبدِ الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ، قال:

١ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا:

٢ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ،

٣ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،

٤ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ،

٥ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢٨٨).

(٢٨٨) رواه البخاريُّ (٣٤)، ومسلم (٥٨).

آيات

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء: ٥٨].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

الراوي

هو: أبو محمَّدٍ، وقيل: أبو عبد الرحمن، عبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ بنِ وائلٍ القرشيُّ، السهميُّ، كان يَكتُب في الجاهلية، ويُحسِن السُّريانية، وأسلَم قبلَ أبيه، وَكَانَ فاضلًا حافظًا عالمًا، يصوم النهار، ويقوم الليل، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه الحديث فأذِن له، فكان من المكثِرين في رواية الحديث عن النبي ﷺ، تُوفِّي سنةَ (٦٥هـ)(١).

خلاصة

يُعَدِّدُ النبيُّ ﷺ أربعَ خِصال من خصال المنافقين التي لا يجوز لمسلمٍ أن يتَّصف بها، فمَن اتَّصف بها جميعًا كان منافقًا تمامًا، ومن كانت فيه واحدةٌ منها كانت فيه صفةٌ من صفات النفاق، وهي: الخيانة والكذب والغدر والفجور في الخصومة.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٧٢٠)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٣/ ٩٥٦)، و«أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٢٤٥).

النفاقُ من أخطر الأمراض التي تُصيب الأفرادَ والجماعاتِ، ومن ثمَّ حذَّر منه الإسلامُ أشدَّ تحذير، وبيَّن صفاتِ المنافقين كي يَحذَرَهم المؤمنُ، ويحافِظ على نفْسه مِن أن يتلبَّس بشيء من أخلاقهم.

١ خَوَّفَ النبيُّ ﷺ أُمَّته من بعض **الصِّفات** التي لا ينبغي أن تكون في مسلمٍ ولا تليق به، بل هي من صِفات المنافقين، فإذا اجتمعْنَ في رجلٍ فهو مكتمِلُ النفاق، وإلا كان فيه من النفاق بحسب ما فيه من تلك الخصال.

والنِّفاقُ: إظهارُ الإنسانِ خلافَ ما يبطِن، وهو قسمان: نفاقٌ اعتقاديٌّ، وهو المُخرِج من المِلَّة، وهم الذين يُظهِرون الإسلامَ ويُضمِرون الكفر، وهؤلاء قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٥- ١٤٦].

والقسمُ الآخَر: هو نفاق العمل، وهو المقصود في هذا الحديث، وهو أن تُوجَد بعض صفات المنافقين في المؤمن سَلِيم الاعتقاد، كالكذب في الحديث، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة فالمتَّصفُ بتلك الصفات ونحوها ليس من المنافقين الذين حكم الله بتخليدهم في الدَّرك الأسفل من النار، وإنما فيه خصلة من خصال النفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين[٢٨٩].

وليس معنى الحديث حصر صفات المنافقين في تلك الصفات، بل هناك صفات أخرى، وقد ورد منها في حديثٍ آخر إخلاف الوعد، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتمنَ خانَ»[٢٩٠]. فعلامات النفاق وصفاتهم كثيرة، يجمع أصلها تلك الصفات، فعلى المسلم أن يحرص على ألَّا يعلَق به من تلك الصفات شيءٌ.

٢ وأول تلك الصِّفات أنَّه يَخُون الأمانات، والخيانة: التصرُّفُ في الأمانة بغير وجه شرعيٍّ؛ كبَيعها، أو إنكارها، أو انتقاصها، أو التهاوُن في حفظها. والأمانة تشمل كلَّ ما اؤتُمِن عليه الإنسان من مال، أو عِرض، أو حقٍّ؛ بل تشمل الشرائعَ التي جعلها اللهُ في يدنا أماناتٍ نُعلِّمها للناس، ونقوم على حفظها بالعمل؛ ولذلك سمَّى اللهُ تعالى مخالفةَ كتابه وسُنَّة رسوله خيانةً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧][٢٩١].

---

(٢٨٩) «شرح النوويِّ على مسلم» (٢/ ٤٧).

(٢٩٠) رواه البخاريُّ (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢٩١) «الأدب النبويُّ» لمحمد عبد العزيز الخولي (ص: ١٨).

والخيانةُ تتنافى تمامًا مع أخلاق الإسلام، ولهذا نهى النبيُّ ﷺ عنها حتى مع الخائنين، قال ﷺ: «أَدِّ الأَمَانَةَ إلى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خانَكَ»[٢٩٢].

٣ الصفة الثانية: الكَذِب، وقد أمر اللهُ تعالى بالصِّدْق وأرشد إليه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. وحذَّر ﷺ من عاقبة الكذب فقال: «وإن الكذبَ يَهدي إلى الفجور، وإن الفجورَ يَهدي إلى النار، وإن الرجُلَ لَيكذبُ حتى يُكتَب عند الله كذَّابًا»[٢٩٣]، ورأى النبيُّ ﷺ في نومه رجلًا يُشَقُّ شِدقه - جانب فَمِهِ - إلى قَفاه، ومِنخَراه إلى قَفاه، وعيناه إلى قفاه، فسأل عنه فقيل: الرجلُ يكذب الكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق[٢٩٤].

٤ الصفة الثالثة: الغدر ونقض العهود. وقد حرَّم اللهُ تعالى الغدرَ ونهى عنه في غير موضعٍ في كتابه، فقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وأشدُّ الناسِ فضيحةً يوم القيامة الخائنونَ؛ قال ﷺ: «لكلِّ غادر لواءٌ يُنصَب بغَدْرته يوم القيامة»[٢٩٥]، فالخائنُ وإن انْدَسَّ بين الناسَ، وإن عَرَف كيْف يرتِّب ويدبِّر أمورَه بحيث لا يُفتَضَحُ أمامَ عباد الله، فأين يَذهب يوم القيامة؟!

٥ الصفة الرابعة هي الفجور في الخصومة، **وهي أن يميل الإنسانُ في خُصومته عن الحقِّ، ويَحتال في ردِّه، ويحاوِل أن يأخذَ ما ليس له**، خاصَّةً إذا كان له قدرةٌ على البيان والمُحاجَجة.

وقد أمر الله تعالى عباده بالعدل في كل الأمور، ونهاهم أن تحملهم العداوة والخصومة على ظلم الطرف الآخر، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. وأخبر ﷺ عن عاقبة من أخذ حقَّ غيره بالباطل فقال: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوٍ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ، فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»[٢٩٦].

---

(٢٩٢) رواه أبو داود (٣٥٣٤).

(٢٩٣) رواه البخاريُّ (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢٩٤) رواه البخاري (٦٠٩٦).

(٢٩٥) رواه البخاريُّ (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).

(٢٩٦) رواه البخاري (٢٦٨٠)، ومسلم (١٧١٣).

١ من حُسنِ تَعلِيمِ النبيِّ ﷺ لأصحابه تقريبُ المرادِ باستخدام شَتَّى الوسائلِ التَّعليميَّة؛ ومن ذلك استخدامُ العددِ، فإذا سمع المسلمُ أنَّ الصفات التي ستُذكر أربعًا كان متشوقًا لسماعها وحفظها. فينبغي على العلماء والدعاة استخدام مثل تلك الأساليب في الحديث مع النَّاس وتعليمهم.

٢ من صفات المؤمنين أداء الأمانات، فلا يكون المسلمُ خائنًا أبدًا، بل إنَّ النَّبيَّ ﷺ يأمرنا بأداء الأمانات حتى لمن خاننا وضيَّع أماناتنا؛ قال ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(٢٩٧).

٣ كان المشركون في مكَّة قبل الإسلام يُلَقِّبون النبيَّ ﷺ بالأمين، أفلا يَبعثُ ذلك على التشبُّه به ﷺ في أخلاقه ومعاملاته!

٤ نهى النبيُّ ﷺ عن التشبُّه بالمنافقين ولو في صفاتهم الخَلْقية مع اختلاف حقيقة الإيمان بين الطرفين؛ فالمسلِم لا ينبغي أن يكون فيه شَبَهٌ بمشركٍ أو منافقٍ، ولهذا أمرنا ﷺ بمخالفة المشركين ونهانا عن التشبُّهِ بهم.

٥ الكذب من أقبح الصفات التي يتَّصفُ بها الإنسان، وقد أخبر ﷺ أنَّها من صفات المنافقين، والمؤمنُ ينأى بنفسه عن التشبُّه بهم.

٦ كثيرٌ من الكُفَّار يفرُّون من الكَذِب، ويرَونه من مساوئ الأخلاق، وقد أراد أبو سفيان ﷺ أن يكذب في حديثه مع هِرَقل عن النبيِّ ﷺ إلَّا أنَّه أبى ذلك، وقد كان حينئذٍ كافرًا. فالمسلمُ أولى وأجدر أن ينتفي عن الكذب ويفرَّ منه.

٧ أمر ﷺ بالوفاء بالعهود حتى مع المشركين أثناء حربهم؛ فقد ورد حذيفةُ بن اليمان وأبوه على النبيِّ ﷺ أثناء غزوة بدرٍ، فذكرا أن المشركين أخذوهما وقالوا: تريدان محمدًا لتقاتلا معه، فقالا: لا، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا عليهما المواثيق والعهود أن يقصدا المدينة ولا يقاتلا مع النبيِّ ﷺ، فقال لهما النبيُّ ﷺ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ»(٢٩٨).

---

(٢٩٧) رواه أبو داود (٣٥٣٤).

(٢٩٨) رواه مسلم (١٧٨٧).

٨ أشدُّ الناسِ فضيحةً يوم القيامة الخائنونَ؛ قال ﷺ: «لكلِّ غادر لواءٌ يُنصَب بغَدْرته يوم القيامة»[٢٩٩]، فالخائنُ وإن انْدَسَّ بين الناسَ، وإن عرف كَيفَ يرتِّب ويدبِّر أمورَه بحيث لا يُفتَضَحُ أمامَ عباد الله، فأين يذهب يوم القيامة؟!

قال الشاعر:

واتْـرُكْ خَلائِـقَ قَـوْمٍ لا خَـلاقَ لَهُـمْ ... واعْمَدْ لأخْلاقِ أهلِ الفَضْلِ والأدَبِ
وإنْ دُعِيـتَ لغـدرٍ أو أُمِـرْتَ بـه ... فاهـرُبْ بنفسِـكَ عنـه آبِـدَ الهَـرَبِ

وقال غيره:

والصِّـدقُ يألَفُـهُ الكريـمُ المرتجـى ... والكِـذْبُ يألَفُـهُ الـدَّنِيءُ الأَخْيَـبُ
وَدَعِ الكَـذُوبَ فـلا يكُـنْ لـك صاحبًا ... إنَّ الكـذوبَ لَبِئْـسَ خِـلًّا يُصْحَـب

(٢٩٩) رواه البخاريُّ (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).